

نبذة مختصرة عن الإمام البخاري وصحيحه

A brief introduction to Imam al-Bukhari and his Sahih

Dr. Syed Yasir Ali

Lecturer department of Arabic, NUML Islamabad

syedyasir.ali21@yahoo.com

Dr. Imrana Shahzadi

Assistant Professor, Department of Arabic, G.C.Women University,
Faisalabad

drimrana@gcwuf.edu.pk

ABSTRACT

Muhammad Bin Ismail commonly referred to as (Imam al Bukhari) is one of the most prominent and great Muhadith of the Islamic world. He was born in Bukhara and one of the brilliant students of Imam Malik bin Anas. He is particularly known as Ameer ul Momineen in Hadith. He has written many books in which Sahi Bukhari is very popular – A comprehensive and most authentic book of Hadith. This book is most celebrated and popular among the Muslims of the world. This article carries out a comprehensive study of his life, book and his methodology and style in compiling the prophetic Hadith.

This article presents the methods, approach and worth of this book along with his biography. The method used in this research is descriptive and analytical.

Keywords: Prophetic Hadith, Authentic, comprehensive, descriptive.

الإمام البخاري وصحيحه

اسمه:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه⁽¹⁾ وقيل: بذرذبه، وهي لفظة

بخارية، معناها الزراع.

اسم المغيرة على اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسياً وطلب إسماعيل بن

إبراهيم العلم⁽²⁾.

وهذا يدل على أن الإسلام دخل على آبائه عندما تولى المسلمون أمر تلك البلاد

بعد أن فتحها الله عليهم، ولم يكن محمد بن إسماعيل في صغره على تمام الحال، إذ كان

مكفوفاً ولكن الله قد منّ عليه بفضله فرد عليه بصره كما ورد ذلك في كتب تاريخ الرجال،

فقد ذكر صاحب سير أعلام النبلاء ما حصل له: (حدثنا محمد بن أحمد بن الفضل

البلخي، سمعتُ أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام

إبراهيم الخليل، فقال لها: يا هذه، قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك، شك البلخي، فأصبحنا وقد ردّ الله عليه بصره⁽³⁾.

وعندما ردّ الله عليه بصره فتح عليه آفاق المعرفة في الحديث خاصة رواية ودراية وفي العلم عامة، ولم يكن العلم مقتصرًا عليه بل كان أبوه طالبًا للعلم كما ذكرنا، ويظهر لنا مما سيأتي أن العلم لا يقف على صغير أو كبير، فالبخاري منذ صغره نهل من العلم، فوصل إلى ما وصل إليه.

(قال محمد بن أبي حاتم، قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟ قال: أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، فقلت: كم كان سنُّك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلتُ أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت: ارجع للأصل، فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، واحكم كتابه وقال: صدقت.

فقيل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعنت في ستّ عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججتُ رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث⁽⁴⁾.

فتح الله على البخاري منذ نعومة أظفاره بعد أن رد عليه بصره فألممه رشده فأصبح يعقب على مشايخه ويستدرك عليهم وليس غريباً إذا عرفنا أن الله إذا أنعم على عبدٍ فلا راد لفضله.

عبادته وورعه وفضله وصلاحه:

وردت الروايات التي تبين علو مرتبة عبادته إذ ذكر الخطيب البغدادي: (حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: دُعِيَ محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر، صلى بالقوم، ثم قام للتطوع فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، فقال لبعض معه: أنظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً، وقد تورّم من ذلك جسده، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فقال بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة فأحببتُ أن أتمها⁽⁵⁾).

وقد ذكرت الروايات أقوالاً قالها تدل على ورعه ومحافته من الله عز وجل أن يحاسبه يوم القيامة، فقد (قال بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً).

قلت: صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل، علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإن أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا. وقل أن يقول: فلان كذاب، كان يضع الحديث، حتى أنه قال: إذا قلت فلان في حديثه نظر، فهو متهم وإه. وهذا معنى لا يحاسبني الله أن اغتبت أحداً وهذا هو والله غاية الورع⁽⁶⁾.

ومما يدل على صلته بالله إضافة إلى ورعه ما ذكره الذهبي بقوله: (وقد ذكرنا أنه لما ألف "الصحيح" كان يصلي ركعتين عند كل ترجمة)⁽⁷⁾.

ومن تتبع الأمر بدقة وجد أن البخاري رحمه الله قد ابتعد عن ما يلهيه من أمور الدنيا لذلك يروى عنه أنه قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: ما تولى شراء شيء ولا بيعه قط، فقلت له: كيف، وقد أحل الله البيع؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، فخشيت أن تولى أن أستوي بغيري، قلت: فمن كان يتولى أمرك في مبيعاتك وأسفارك ومبيعاتك؟ قال: كنت أكفي ذلك⁽⁸⁾.

فهذا شيء من فضله على بسطاء الناس لما اشتغلوا بالدنيا اشتغل بأمر الآخرة تعاملوا بالدرهم والدينار تعامل هو مع أقوال المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وما يروى عنه.

وإذا ذهبنا إلى صلاحه وجدناه موصوفاً به على لسان أهل زمانه فهو الذي قال عنه (محمد بن يحيى الذهلي لما ورد البخاري نيسابور... اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح، فاسمعوا منه)⁽⁹⁾.

منزلته وثناء أهل العلم عليه:

لاشك أن الذي يبلغ من العلم مرتبة رفيعة عالية تولد في قلوب الآخرين هبة منه وذلك أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽¹⁰⁾، فكيف بمن أهدى ودرس وتعلم، ويبدو هذا الأمر جلياً عندما نسوق الروايات في هذا المجال.

(قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: سمعتُ بعض أصحابي يقول: كنت عند محمد بن سلام، فدخل عليه محمد بن إسماعيل، فلما خرج قال محمد بن سلام: كلما دخل عليّ هذا الصبي تحيرتُ، وألبس عليّ أمرُ الحديث وغيره، ولا أزال خائفاً ما لم يخرج)⁽¹¹⁾.

وتأتي الرواية الأخرى لتبين سبب الحيرة من هذا الرجل من جانب والثناء من جانب آخر: (قال أبو جعفر: سمعت أبا عمر سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال: لو جئت قبلاً لرأيت صبيّاً يحفظ سبعين ألف حديث. قال: فخرجت في طلبه حتى لحقتُهُ، قال: أنت الذي يقول: إني أحفظ سبعين ألف حديث؟

قال: نعم وأكثر، ولا أحيئك الحديث من الصحابة والتابعين إلا عرفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي من ذلك أصلٌ أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسوله⁽¹²⁾.

ولم يقف البخاري رحمه الله عند الحديث فقط بل جعل كتابه (الجامع الصحيح) مبوباً بأبواب تحت عنوانات تدل على فقهه مما جعل له حظاً وافراً بثناء الأئمة على فقهه، (قال أبو جعفر: حدثني بعض أصحابي: أن أبا عبد الله البخاري صار إلى أبي إسحاق السرماري عائداً، فلمّا خرج من عنده قال أبو إسحاق: من أراد أن ينظر إلى فقهه بحقه وصدقه، فليُنظر إلى محمد بن إسماعيل وأجلسه على حجره)⁽¹³⁾.

لذلك فقد بلغ البخاري في قلوب الناس مبلغاً عظيماً حتى تمنى بعضهم أن لو يفديه بعمره (قال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم)⁽¹⁴⁾.

هذه الأقوال أقوال من عرف حق هذا الرجل الذي حمل العلم بين أضلاعه في حياته وجعله في قرطاس بعد مماته، فنفع الله به هذه الأمة بحفظ سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وفاته:

لم يكن الخلود ليكتب لهذا العالم الرثائي، فمهما طال به المقام لا بد من الرحيل، ولا سيما بعد أن يسأم الإنسان من هذه الحياة المليئة بالمنغصات، فذكر عن وفاة البخاري رحمه الله أنها كانت بقرية قريبة من سمرقند، (قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خزنتك - قرية - على فرسخين من سمرقند وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعت ليلة، يدعو، وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضي إليك. فما تم الشهر حتى مات، وقبره بـخزنتك⁽¹⁵⁾).

وهناك من الروايات ما تجعلك تظن الخير بهذا العالم الجليل في حياته وبعد مماته، (قال محمد بن محمد بن مكّي الجرجاني: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسيّ يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف في موضع، فسلمت عليه، فردّ علي السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري، فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت فإذا قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها⁽¹⁶⁾).

من حمل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وذبّ عنها بكل ما أوتي من قوة كان النبي صلى الله عليه وسلم في انتظاره بعد مماته. ولم يعيش البخاري رحمه الله طويلاً (قال ابن عدي: سمعتُ الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: توفي البخاري ليلة السبت ليلة الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومئتين. وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً⁽¹⁷⁾).

وقد ذكر بعض الذين ترجموا للبخاري وفاته، وقرنوها بالتاريخ الميلادي، فقال: (توفي البخاري رحمه الله ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين للهجرة الموافق 870م عن عمر يناهز 62 سنة)⁽¹⁸⁾.

نبذة مختصرة عن صحيح البخاري:

اسم الكتاب:

لا بد للاسم أن يكون دالاً على المسمى جامعاً لما يحتويه من معانٍ، فاسم هذا الكتاب هو (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)⁽¹⁹⁾. لذا ستكون هناك بعض الوقفات التي يمكن من خلالها بيان دوافع التأليف وكيفية خروجه بهذه الحال.

دوافع تأليف الكتاب:

إن وجود الحاجة الماسة تعدّ سبباً رئيساً لإيجاد مبتكر يضم في طياته أروقة العلم الذي يصبو إليه طالبه، فبعد أن زال الحرج عن تدوين الحديث، (وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار)⁽²⁰⁾.

بدأ أهل هذا العلم بالتحرك لجمع حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، فيذكر أن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري قال: (كنا عند إسحاق بن راهويه، فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب، يعني: كتاب "الجامع"⁽²¹⁾. وفي مقدمة الفتح "في جمع الجامع الصحيح" وروينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس، قال: سمعت البخاري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه وببيدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح)⁽²²⁾.

فهذه الدوافع جعلت هذا الإمام العالم الرباني يبذل الجهد العظيم ليصل إلى تأليف

كتاب يجمع فيه ما حملته صدور الرجال من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خروج الكتاب بهذه الكيفية:

يعدّ صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله، لذا فهو الكتاب الأول بالنسبة

لكتب الحديث، وإن تنازعا في أيهما أفضل ترتيباً البخاري أم مسلم؟⁽²³⁾.

لا ضير في أن (الجامع الصحيح) يخرج بهذه الحال ويصل إلى هذه المرتبة من

الشهرة لأن البخاري رحمه الله أخرجه من عدد لا يستهان به، بل ربما لا يتسنى لأحد أن

يعمل هذا العمل، فيذكر أن محمد بن إسماعيل البخاري قال: (أخرجت هذا الكتاب - يعني

الصحيح - من زهاء ست مئة ألف حديث)⁽²⁴⁾.

وروى الإسماعيلي عنه قال: (لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً، وما تركت من

الصحيح أكثر)⁽²⁵⁾.

علماً أنه يعلل هذا العمل فيقول: (ما أدخلت في كتابي "الجامع" إلا ما صح

وتركت الصحاح لحال الطول)⁽²⁶⁾.

والذي يتقي الله ويستعين به على أعماله يفتح عليه أبواب الخير، وهذا الأمر جلّي

واضح عند هذا الرجل، فقد جاء في بعض الروايات (عن محمد بن يوسف الفريري يقول:

قال لي محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب "الصحيح" حديثاً إلا اغتسلت

قبل ذلك وصليت ركعتين)⁽²⁷⁾. فجاءت الجائزة الربانية في الدنيا قبل الآخرة لترفع من شأن

هذا العمل وصاحبه (قال الفريري أيضاً: سمعت محمد بن أبي حاتم البخاري الوراق يقول:

رأيتُ محمد بن إسماعيل البخاري في المنام يمشي خلف النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي، فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع⁽²⁸⁾.

فبعد هذا كله خرج الصحيح بهذه الحُلَّة التي يتنافس المتنافسون من طلاب العلم فيها لينالوا الشرف بدراسة موضوع من مواضيع هذا الكتاب.

رأي العلماء بالجامع الصحيح:

لم يكن الجامع الصحيح كتاباً كبعض الكتب التي لم تنل شيئاً من ثناء العلماء ووضعت جانباً، بل نال الكثير من الاهتمام، فقد عرض هذا الكتاب على خيار أهل الفن في الزمن السالف (قال أبو جعفر محمود بن عمرو العقيلي: لما ألف البخاري الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة)⁽²⁹⁾.

وأريد في هذا الموطن أن أنقل ما ورد في مدح هذا الكتاب فقد (سُئِلَ أبو عبد الرحمن، يعني النسائي، عن العلا وسُهَيْل، فقال: هما خير من فُلَيْح ومع هذا فما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري)⁽³⁰⁾.

وجاء الكلام الذي تستند إليه على أن البخاري رحمه الله وكتابه الجامع الصحيح نالا من المدح والثناء ما يتناسب مع قدرهما فقالوا: (إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين أهل الإسلام، رحل في طلب الحديث إلى سائر مُحدّثي الأمصار وكتب بخراسان والجبّال ومدن العراق كلها، وبالْحِجَاز والشام، ومصر)⁽³¹⁾.

وهذه تبين جهده رحمه الله في تدوين وجمع أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام فلما خلصت النية وطالت الرحلة جاءت الثمرة يانعة طيبة نضرة.

الهوامش

(1) تاريخ مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1422 هـ / 2001 م: 2 / 330، وسير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ / 1347 م)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، ط (1، 2، 3، 4)، 1406 هـ / 1986 م: 12 / 391-392، ينظر: العبر في خبر من غير، للحافظ الذهبي (ت 748 هـ / 1347 م)، حققه وضبطه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: مج 1 / 367-368، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث، بيروت: مج 5، 9-10 / 52.

- (2) تاريخ مدينة السلام: 2 / 322، سير أعلام النبلاء: 12 / 391 - 392.
- (3) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (654 - 742هـ)، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1422هـ / 2002م: 24 / 445.
- (4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، حوادث ووفيات (251 - 260هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1422هـ / 2002م: 9 / 243، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت597هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: مج12 / 114.
- (5) تاريخ مدينة السلام: 2 / 330.
- (6) سير أعلام النبلاء: 12 / 439 - 441.
- (7) سير أعلام النبلاء: 12 / 443.
- (8) المصدر نفسه: 12 / 446.
- (9) المصدر نفسه: 12 / 442.
- (10) المجادلة: 11.
- (11) سير أعلام النبلاء: 12 / 416 - 417.
- (12) المصدر نفسه: 12 / 417.
- (13) المصدر نفسه: 12 / 417.
- (14) تهذيب الكمال: 24 / 460.

- (15) سير أعلام النبلاء: 12 / 446.
- (16) المصدر نفسه: 12 / 468.
- (17) تاريخ مدينة السلام للخطيب: 2 / 324، طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، ط2: 1 / 424.
- (18) سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة (3) موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، إشراف وتقديم: الأستاذ الدكتور محمود حمدي زفروق، القاهرة، 1425هـ / 2004م: 131، أ.د. أحمد عمر هاشم.
- (19) مقدمة الفتح بشرح صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري، موافقة الترقيم وتبويب: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق: عبد العزيز بن باز، اعتنى به: محمود الجميل، مكتبة الصفا، ط1، 1423هـ / 2003م: 8.
- (20) مقدمة الفتح: 6.
- (21) تهذيب الكمال للمزني: 24 / 441 - 442، تاريخ مدينة السلام: 2 / 327، سير أعلام النبلاء: 12 / 401.
- (22) مقدمة الفتح: 7.
- (23) ألفية الحديث للحافظ العراقي أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، تحقيق: أحمد محمد شاكر: 725 - 806، فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث، تحقيق وتعليق: الأستاذ محمود ربيع، مكتبة السنة: 12 - 13.
- (24) تاريخ مدينة السلام: 2 / 327، سير أعلام النبلاء: 12 / 402، تهذيب الكمال: 24 / 442.

(25) مقدمة الفتح: 7.

(26) تهذيب الكمال: 422 / 24، تاريخ مدينة السلام: 327 / 2، سير أعلام النبلاء بغير هذا اللفظ:

.402 / 12

(27) تاريخ مدينة السلام: 327 / 2، تهذيب الكمال: 443 / 24، سير أعلام النبلاء: 402 / 12،

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان

(608 - 681هـ)، حققه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان: مج 4 / 190.

(28) مقدمة الفتح: 7.

(29) المصدر نفسه: 7.

(30) تهذيب الكمال: 442 / 24.

(31) تاريخ مدينة السلام: 322 / 2.